التّعامل الدّلاليّ مع الكلمات في تحليل الخطاب

نحو رؤية جديدة

إعداد

د. بسمة بن سليمان

ملخص البحث:

تقصّد هذا المقال الاستدلال على منزلة المعجم والمفردات والكلمات في إنتاج الخطابات التّخييليّة وفهمها وتفسيرها وإدراك أسرار جمالها الفنّيّ وطر افة دلالاتها بالنّظر في ما تعد به المقاربة الدّلاليّة المعجميّة من طموحات في مجال مقاربة الخطابات وذلك بتجاوز التّفكيك البنيويّ والأسلوبيّ في اكتفائهما برصد العلامات اللّغويّة وتصنيفها وربط الصّلة بينها وبين الدّلالة من ناحية، ومن ناحية أخرى بتأسيس بديل يقتفي أثر انتقاء العمليّات الذّهنيّة الدّاخليّة الّتي تجري في ذهن منشئي النّصوص ومتلّقيها ودورها في النّفاذ إلى حقيقة المستوى المعجميّ في بناء النّصوص وفهمها باعتبار أنّ القراءة شطب وكتابة جديدة للنّصّ بحسب إمبرتو إيكو. ولذلك تساءلنا عن المداخل الّتي تستدعى في عمليّات انتقاء المعاجم؟ وما هي المقولات الّتي يستند إليها في ضبط جماليّة نصّ مقروء؟

الكلمات المفتاحية:

المعجم، االمفردة،الكلمة،المعنى ، الدّلالة ،التّرادف ،الاشتراك، الطّراز،الحقل الدّلاليّ، الذّاكرة المعجميّة.

Abstract

This article aims to infer the status of the lexicon, vocabulary and words in the production, understanding and interpretation of imaginary discourses, and the realization of the secrets of their artistic beauty and the novelty of their connotations by looking at the ambitions of the lexical-semantic approach in the field of discourse approach by transcending the structural and categorical deconstruction of stylistic and stylistic signs and linking them to semantics on the one hand, and on the other hand, by establishing an alternative that traces the impact of selecting the internal mental processes that take place in the minds of text creators and recipients, and its role in accessing the truth of the lexical level in building texts, reading and translating them according to new writing, considering that Echo. Therefore, we wondered about the entrances that are used in the selection of dictionaries? What are the statements on which it is based in controlling the aesthetics of a readable text?

Key words:

lexicon , vocabulary, word , meaning , semantics , synonimy , subscription , model , semantic field , lexical memory

المقدمـــة :

لا جدال في أنّ المسائل ذات الصّلة بالبحث في المعنى لا تزال مثار خلاف بين الفلاسفة وفقهاء اللّغة واللّسانيّين ويفسّر هذا الخلاف بالطّابع الذّهنيّ لتلك المسائل لاتّصالها بمقولات ومفاهيم وتصوّرات عدّة نذكر منها الفهم والتّأويل والإدراك والقصد. وتجاوزت اللّسانيّات البنيويّة هذا الخلاف حين اتّخذت لها موضوعا موصولا بأشكال الكلمات وبناها انطلاقا من الإقرار بأنّ اللّسان الطّبيعيّ نظام من الدّلائل والدّليل نظام نفسيّ قوامه التحام بين دالّ ومدلول أو بين متصوّر ذهنيّ وصورة أكوستيكيّة[1] وكذلك اتّخذ علم الدّلالة (السّيمانتيك) موضوعا يعنى بدلالات الكلمات باعتبار أنّ اللّغة سيميائيّة اجتماعيّة تُدرس للوقوف على القوانين الّتي تنتظم تغيّر المعاني وتطوّرها وهو انتظام متجدّد ما دامت الكلمات لا تخضع لقانون ثابت يُلزمها بمدلولاتها، وهذا القانون محكوم باقتضاءات تعبيريّة.

والشّائع، اليوم، أنّ الكلمة، حقيقةً لسانيّةً أو رمزًا وعلامةً، ظلّت وحدة أساسيّة في التّحليل النّحويّ وكتلة صوتيّة ومعطى لسانيّا يقبل التّقطيع والعزل والاستقلال عن التّركيب والسّياق في التّصوّر البنيويّ وحقيقة ثابتة في المستوى النّفسيّ ووعي الأفراد ومستقرّة في الذّهن في المنحى العرفانيّ البيولوجيّ وهي أي الكلمة في اللّسانيّات الدّلاليّة وحدة معجميّة دالّة حينما أضحت الدّلالة مكوّنا لسانيّا يضاهي المكوّنات الصّوتيّة والتّركيبيّة والإعرابيّة[2]. وأدرك علماء الأسلوب أهميّة وصف مفردات الكلام وتصنيفها في تفسير الخطابات وعنوا في أعمالهم بأوجه الكلمات وهي المادّة اللّغويّة والنّوع من قبيل الاسم والفعل والحرف ووزن الصّيغة والمعنى المعجميّ واعتبروا أنّ الكلمات تستمدّ معانيها من مختلف المعاني الّتي تفيدها هذه الأوجه[3]..

ولقد بدا لنا أنّ الاهتمام بالمعنى المعجميّ، ههنا، لم ينل حظّه بالقدر الكافي في عمليّات تفكيك النّصوص الأدبيّة وتفسيرها وبناء على ذلك نروم، في هذه الورقة البحثيّة، أن نقف على أهميّة طاقة الكلمات الدّلاليّة **potentiel sémique** في قراءة الخطابات بأكثر دقّة و إنتاج للمعنى بأكثر نجاعة، لأنّ الكلمات تخبر، أو تصف، أو تسرد، أو تؤكّد، أو تنفي تبقى بصمات لغة تنتج آثار معنى لأنّ اللّغة أحداث لسانيّة تنتمي إلى نظام قيم خاصّ بمجموعة بشريّة مّا، في مكان مّا، في زمان مّا وباختصار إنّ وظيفة اللّغة الجوهريّة هي قول أشياء عن الكون[4].

ولئن تعدّدت محاولات تحليل المعنى، فقد ظلّ المعجم عسير الوصف حيث لم تفلح

المقاربة القديمة في تعرّف أهميّته في بناء الخطابات وتلقّيها وبقي المعجم حسير التّناول حتّى بوّأه البحث المعجميّ في العقود الأخيرة منزلة هامّة. وبات من المعلوم أنّ مكوّنات نظام المعجم هي الوحدات المعجميّة ومكوّناتها من بنية صوتيّة وصيغيّة-صرفيّة و انتماء مقوليّ ودلالة معجميّة. ولقد ضبطت المعجميّة منهجا في تعريف المفردات وشرحها في القواميس وأرست أدوات واصفة في الخطاب القاموسيّ من قبيل إعادة الصّوغ والتّرادف والاشتراك والتّقابل والاشتقاق بقصد المساعدة على فهم النّسق المعنويّ الّذي يربط الكلمات ببعضها بعضا.

وفي هذا المنحى الدّلاليّ لا شكّ في وجود تعالق بين المفردات المخزّنة في الذّاكرة وفهم النّصوص و إنتاجها وتلقّيها باعتبار أنّ تملّك المفردات لايقلّ أهميّة عن التّحكّم في التّراكيب النّحويّة ومعلوم أنّ بعضا من دارسي الأدب من سعى إلى استخدام عدد من مقولات التّحليل المعجميّ في قراءة الأعمال الأدبيّة من قبيل التّرادف والاشتراك وتقنيات إعادة الصّوغ التّعريفيّة، وإعادة الصوغ التّشقيقيّة وإعادة الصوغ التّأصيليّة وإعادة الصّوغ التّفكيكيّة[5]. ورغم ذلك اقتصرت دراسة المستوى المعجميّ في النّصّ الأدبيّ، شعرا أو نثرا، على ضبط المعجم الغالب وتصنيفه في المنوال الأسلوبيّ بالخصوص ولم يُتوسّع في تبيّن الصّلات القائمة بين المعجم المحتمل أو الطّبيعيّ المخزّن في ذاكرة مستعملي اللّغة وبين المعجم الصّناعيّ والمدوّن المتجسّد في النّصّ على معنى أنّ تفصيل القول في دور السّمة العرفانيّة الذّهنيّة للمعجم في إنشاء النّصوص وتلقّيها[6].

وبناء على ما سبق نتبنّى أطروحة تشيد بتصوّر يعلي من شأن المعجم ويقول بأنّ المعاني بناؤها ذاتيّ وأنّها ذات طبيعة تكوينيّة تتكوّن وتنمو في الذّهن ثمّ تتجسّد نصّا أو خطابا وتكون ذات قابليّة للتّأويل و أنّى يتأتّى لنا الخوض في غمار المعجم والأدب دون تعرّف الوحدة المعجميّة وخواصّها التّمييزيّة أوّلا، ومقولات التّرادف والاشتراك والنّمط[7] والحمل على المعنى ثانيا، والثّراء المعجميّ وطرائق توظيفه في قراءة الأدب شعرا ونثرا ثالثا. وأمّا سبيلنا إلى ذلك فهو اعتماد المنوالين المعروفين في علم الدّلالة المعجميّ بالدّاليّة والمسمّياتيّة.

والدّاليّة **la sémasiologie** مقاربة تنطلق من شكل الوحدة المعجميّة للنّظر في مختلف دلالاتها أي دراسة التّعدّد الدّلاليّ لشكل واحد مثل مفردة "عين" أو الاشتراك اللّفظي لأشكال متشابهة البنية مثل "الغراب: جنس طير من الجوائم"، والغراب: حدّ السّيف"[8]... ومن المفاهيم المركزيّة الّتي تستند إليها النّظريّة الدّاليّة مفهوم

النّمط"stéréotype" وهو مكمّل لمفهوم الطّراز. وأمّا المسمّيّاتيّةL'onomasiologie فهي مقاربة تنطلق من المفهوم للبحث في الأشكال أو الدّوالّ الّتي تعبّر عن هذا المفهوم أي دراسة التّرادف والأضداد.

ونخوض في جماليّة التّوظيف المعجميّ بأقسام ثلاثة وهي الوحدة المعجميّة نبع الدّلالات قسما أوّل ومقولات علامات الثّراء الدّلاليّ قسما ثانيا واتّساع المعجم قوّة التّخييل وفرادة النّصوص قسما ثالثا ونطمح بتحليل هذه الأقسام الاحتجاج لموقفنا الدّاعي إلى إحلال المعجم محلاّ هاماً في تفسير الخطابات باعتباره مولّدا من مولّدات جماليّة النّصوص وفرادة الخطابات لنجيب بذلك عن إشكال هو: ما الّذي يحقّق فرادة النّصّ، هل هو تصنيف المعاجم وتحديد دلالاتها ومعانيها فحسب، أم المفاهيم والتّصوّرات والمعاني الاحتماليّة المستقرّة في أذهان منتجي النّصوص وقرّائها؟

التّحليل

I. الوحدة المعجميّة نبع الدّلالات

ندرس في هذا القسم دور المعجم في إنشاء الخطابات وتلقّيها مؤكّدين أنّ القراءة نشاط ذهنيّ تشاركيّ بين منتج النّصّ وقارئه وأنّ للوحدات المعجميّة المركوزة في الذّهن قبل أن تتجسّد مفردات في النّصّ دور هامّ في هذا النّشاط العرفانيّ الذّهنيّ ونجد في اهتمام المعجميّين بـ"التّعريف بالدّوال والمدلولات" برهانا على تمشّينا باعتبار التّعريف جزءا من النّشاط الطّبيعي للإنسان لتيسير علاقته بمحيطه لذلك فتعلّق الدّلاليّين شديد بالكلمة وحدة معجميّة سواء أطلقوا عليها كلمة أو عجمماLexème (وهو كلمة مجرّدة، ومضمون معجميّ أصليّ تتوالد منه الوحدات المعجميّة، الجذع في بناء الكلمات) أو وحدة معجميّة.

1- خواصّ الوحدة المعجميّة

ويقترن تعريف الوحدة المعجميّة بتحديد مفهوم الدّلالة المعجميّة وهي حدث اقتران اللّفظ بالمعنى ودلالة الوحدة المعجميّة جزئيّة وأساسيّة في اللّغة. وخصائصها خمسة وهي: أنّها دلالة مفردة قبل تسييقها ودلالة احتماليّة بقابليّتها الدّخول في أكثر من سياق فيصبح لها معنى واحدا ودلالة أصليّة بانبثاقها من وضع متفّق عليه وهي أيضا أساسيّة لا يستغني عنها المتكلّم في الاستعمال، وذات دلالة عامّة اجتماعيّة. أي أنّ الوحدة

المعجميّة أو العجمة (unité lexicale ou lexie)كيان لسانيّ يتصرّف تصرّف عجمم(lexeme simple) بسيط وينتمي مثله مثل العجمم إلى واحد من الأصناف التّالية: اسم، صفة، أو حال. وتكون الوحدة المعجميّة بسيطة إذا تكوّنت من صيغم un seul) (morphémeواحد وفي الحالات الأخرى هي تعبير معجميّ expression) (lexicalisée"والوحدات المعجميّة هي مادّة المعجم وعلى أساس جذورها يقع ترتيب وحدات المداخل، ويشكّل الجذر البنية الأساسيّة للكلمة، و انطلاقا منه يقع الاشتقاق، وتكوّن دلالة الوحدة المعجميّة من الجذر والصيغة (forme) وهي القالب الذي تتشكّل فيه الكلمة ويعطيه دلالتها الوظيفيّة الخاصّة بها ومن حاصل هذين العنصرين نتحصّل على دلالة الكلمة ومعناها اللغوي. وهكذا فعناصر توليد الوحدة المعجميّة هي الأصوات والبنية الصّرفيّة والدّلالة مّما يكسبها خصيصة الانتماء المقوليّ (اسم، فعل، صفة، ظرف، أداة)[9]. وهذا ما يؤدّي بحسب المقاربة الدّاليّة الشّكليّة إلى تجدّد دلالات المفردات بطرق منها الاشتقاق والنّحت والتّركيب والمعجمة.

هذه الخواصّ بمثابة منوال ذهنيّ مشترك بين منتجي الخطابات ومتقبّليها وعليه فهي ذات أهميّة في تحقّق مقروئيّة الخطابات و إنشائيّتها.

2- الوحدة المعجميّة والكلمة

يكاد يجمع الباحثون في اللّغة[10]على أنّ أكثر الفروع اللّسانيّة حاجة إلى الاعتراف بالكلمة هو فرع القواميس، فالكلمة في القاموس هي المادّة الأصليّة الّتي عليها يبنى، وتتمتّع بمكانة مستقلّة فيه باعتبارها كيانا مستقلاّ ذا طبيعة نفسيّة من وجهين هما المتصوّر الذّهنيّ الذّي يعبّر عنه بالمدلول، والصّورة الأكوستيكيّة التّي يعبّر عنها بالدّال. لذلك فمفهوم الكلمة في القاموس يختلف عن مفهومها في بقيّة المجالات اللّسانيّة الأخرى. ولقد حاول علماء اللّغة دراسة الكلمة فعرّفوها بطرق مختلفة فهي عند الزمخشريّ (ت 538 هـ) " اللفظة الدّالّة على معنى مفرد بالوضع"[11]ويوضّح ابن يعيش (ت 634 هـ) هذا التّصوّر للكلمة فيجعل "اللّفظة جنسا للكلمة وذلك أنّها تدلّ على المهمل والمستعمل (...) ويسمّى لفظة لأنّه جماعة حروف ملفوظ بها، هكذا قال سيبويه رحمه الله فكلّ كلمة لفظة وليس كلّ لفظة كلمة، ولو قال عوض اللّفظة عرض أو صوت لصحّ ذلك ولكن اللّفظة أقرب لأنّها تتضمّنها"[12]ومعلوم أنّ الجذر هو الوسيلة لمعرفة أصل الكلمة، فتجريد الجذر يبيّن صيغة الكلمة وطريقة اشتقاقها وتكوّنها، فبنية الكلمة تعرف

انطلاقا من جذرها ثمّ يتحدّد معناها.

إذن الكلمات تنبثق من المعجم لأنّ الوحدات المعجميّة تترابط على مستوى المعجم الذّهنيّ حين تشترك في عدد من السّمات ويتحدّد الاشتراك بين تلك الوحدات بواسطة علاقات ذاتيّة أي باشتراك وحدات من نفس المدخل في سمة واحدة وعلاقات ترابطيّة هي أقرب إلى التّضمّن العلويّ في ما بين عدد من الوحدات وتتأتّى كلّها من مفهوم التّقارب المعنويّ والمفهوميّ بين الوحدات وبناء على هذا التّقارب تنسل الكلمات وتستعمل في الأقوال.

3- العلاقة بين الوحدة المعجميّة والكلمة

في تراثنا البلاغيّ اهتمام واسع بمسائل انتقاء اللّفظ وشروط ذلك الانتقاء واعتبروا أنّ المناسبة هامّة في ربط الألفاظ بضعها برقاب بعض في بناء لغويّ مفيد وممتع فبحسب الجرجانيّ[13] النّظم هو "أن تأتي المعنى من الجملة الّتي هي أصحّ لتأديته وتختار له اللّفظ الّذي أخصّ به وأكشف عنه وأتمّ له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزيّة" وهو ما يسمّى عند علماء الدّلالة العرفانيّة، لاسيّما في المنحى الدّاليّ، الانتقاء المعجميّ وهو مرتبط بتصوّرهم للعلاقات بين الوحدات المعجميّة والكلمات إذ يرون أنّ الكلمة في القاموس تتحدّد بذاتيّتها المعجميّة وباستقلاليّتها وبالتّعامل معها خارج سياقاتها، إذ يميّز المعجميّون بين المعجم باعتباره مجموع الكلمات في لسان مّا وبين المفردات vocabulaireوالمفردات هي المعجم المتعلّق بمجال معيّن. ويميّز المعجميّون أيضا بين الكلمات mots والمفردات vacabulaires وهي معجم جماعيّ: كنز اللغة Lexique général أي مجموع الكلمات النّظريّة المفترضة التي تمتلكها مجموعة لسانيّة مّا في ظرف تاريخيّ معيّن. وكلّ أفراد هذه المجموعة ينهلون من هذا الكمّ الهائل من الكلمات من دون القدرة على الإلمام به كاملا[14] ، ففي المقاربة الدّلاليّة يُبحث في تمكّن دلالات حادثة في اللّغة تحملها دوالّ عريقة ويكون ذلك بالمجاز المرسل والاستعارة والكناية[15].

يتمثّل الفرق،أيضا، بحسب إبراهيم بن مراد، بين المعجم والمفردات في اعتبار الأوّل مفهوما نظريّا، ممّا يجعل حصر مجموع الكلمات فيه أمرا عسيرا، وهو ملك مشاع ينهل منه أفراد اللّسان الواحد، وفي اعتبار الثّاني، أي المفردات القسط الّذي يمتلكه كلّ فرد، وهو قادر على استعماله في وضعيّات معيّنة، وعلى هذا الأساس تعتبر المفردات جزءا من مجموع أكبر هو المعجم. وفي هذا السّياق يرى جلبار L. Guilbert أنّ تقدير المجموع الجمليّ

للمعجم يظلّ مستحيلا حتّى بالنّسبة إلى الكلمات المستعملة فعليّا، والقاموس الّذي يعتبر صورة لهذا المعجم في الألسن المختلفة لا يرقى أبدا إلى تغطية هذا المعجم تغطية كاملة. إذ يتعلّق مجموع الوحدات المعجميّة في معجم مّا بمجموع كلّ الوحدات المعجميّة عند الأفراد المختلفين، والمعجم الفرديّ بالنّسبة إلى كلّ فرد يتعلّق بقدرته المعجميّة وهو ما يشبه القدرة اللّسانيّة.

إذن مفهوم الكلمة إشكاليّ نظريّا، ومعطى لسانيّ لا يدلّ دائما على مفهوم الوحدة الدّنيا المفيدة[16]، وتقوم بدور في التّركيب وفي بناء الجمل إذ تسهم إلى جانب العلاقات النّحويّة في تحصيل المعنى بينما المعجم جمع لمختلف استعمالات الكلمة الواحدة الممكن إيرادها في سياقات مختلفة وفي الإحصاء المعجميّ الكلمة وحدة خطيّة أي جملة الأصوات المحصور بين فراغين أو بياضين وهي قابلة للإدراج في القاموس قابليّتها احتواء المعاني الطّارئة.

وبناء على ذلك فإنّ علم الدّلالة ميدانه المعنى الّذي تحمله الكلمة ويدرس التّرابط بين الصّيغة الصّرفيّة والدّلالة ويعتبر أنّ المعنى محكوم بالمقام والسّياق وضمّ القرائن بلواصق ولواحق تنحازبها إلى معنى دون غيره[17]. ومحصّل العلاقة بين الوحدة المعجميّة والكلمة أنّ جماليّة المقروء تحدّدها النّشاطات الذّهنيّة الباطنيّة الّتي تعمل على انتقاء المعجم المناسب للمقاصد والنّوايا التّواصليّة على معنى أنّ خاصيّتي المعجم هما الذّهنيّة والإمكان المعجميّ تجعلان المعاني تكوينيّة أي منفتحة متعدّدة وهذا ما يسم القراءة بسمة الإمكان فما نقرأ هو بعض المقصود وبالتّالي فإنّ التّوسّع في وصف المعجم في شرح النّصوص يساعد على وصف المادّة الأسلوبيّة.

II. مقولات علامات الثّراء الدّلاليّ

1-المعجم والذّاكرة

تُتَناول دراسة اللّسان من وجهتي نظر: الآنيّة / الزّمانيّة، إذ يتكوّن اللّسان آنيّا، ولكنّه يعمل تاريخيّا .ففي وجهة النّظر الآنيّة: يُدرس اللّسان في حقبة زمانيّة معيّنة ومحدودة وفي وجهة النّظر الزّمانيّة تُتناول دراسة اللّسان طيلة حقبة معيّنة لتبحث في تطوّره عبر التّاريخ كما تُتناول دراسة اللّسان نفسيّا وفي هذا الإطار عدّت اللّسانيّات العرفانيّة الذّاكرة آليّة ترميز للمعلومات وقدرة على تخزينها في الذّهن والذّاكرة مسؤولة

عن إنتاج اللّغة بتخزين الوحدات المعجميّة والبنى التّركيبيّة ومن أدوار الذّاكرة عموما والذّاكرة الدّلاليّة خصوصا استحضار معلومات مستقلّة عن اللّحظة الّتي تولّدت فيها وهذا أساسيّ في فهم المعاني و إنتاجها وبها يشتغل المكوّن المعجميّ بمدخل السّمات وهو ملتقى عدّة وحدات معجميّة وهي سمات معنويّة ومقوليّة إعرابيّة وحالتها الإعرابيّة ووزن صيغها الصّرفيّة والسّمة الصّوتيّة وموضع هذه السّمات الذّاكرة المعجميّة ومن آليّات اشتغال هذه الذّاكرة هو التّرادف والاشتراك والنّمط ومبرّر ذلك أنّ الوحدة المعجميّة في القاموس اللّغويّ هي وحدة لسانيّة معزولة تكون لها معان معجميّة محتملة فإذا انضوت في تركيب وسياق اكتسبت معنى واحدا وهذا ما يوقع القارئ في ارتباك في فهم دلالتها والتباس في تأوي لمعناها إذ الوحدة المعجميّة ما إن تنتقل إلى سياق حتّى تتغيّر دلالتها وتتبدّل بحسب ما تقتضيه قرائن السّياق وتكتسب ذلك معنى دلاليّا وهو معنى ينضاف إلى المعنى المعجميّ[18]. هكذا تلعب الذّاكرة اللّغويّة دورا بارزا في حفظ المعاني والدّلالات والبنى واسترجاعها إنشاءا وفهما

2- استغناء المعجم بالتّرادف والاشتراك

في المعالجة الدّلاليّة للمفردات تتعدّد أشكال العلاقة بين اللّفظ والمعنى ومن هذه الأشكال علاقة التّرادف حينما يدلّ اللّفظان أو أكثر على معنى واحد أي هي ألفاظ مفردة دالّة على شيء واحد وهو ما اختلف لفظه و اتّفق معناه أي إطلاق عدّة كلمات على مدلول واحد من قبيل أسماء الأسد الّتي تتعلّق بوصف الأسد من حيث الشّدّة والقوّة في بنيته وحمله على العدوّ والطّريدة وهي ضيغم، ضرغام، غضنفر، قسورة أو أسماء الوغى والحرب والبأس حيث يسمح التّعريف المعجميّ التّرادفيّ بالشّرح والبيان والتّفسير وفهم الخطاب.

وإذا كان التّرادف في المعجم يتجلّى في صورة تماثل بين مفردتين، وهو بهذا المعنى علائقي، وبربطه بالمقام يصبح التّرادف متعدّد المظاهر بتعدّد اتّجاهات الباحثين، ولعل هذا ما جعل له أنواع ومراتب اعتمد أغلب الدّلاليّين في التّمييز بينها على ثنائيّتي المعنى الدّليلي والمعنى الثّقافي من جهة، وعلى ثنائيّتي المعنى العرفي الاصطلاحيّ والمعنى العاطفيّ النّفسيّ من جهة أخرى بالإضافة إلى مبدأ الاستعاضة، وهي ثنائيّات مكّنت من التّمييز بين التّرادف المطلق والتّرادف النّسبي والتّرادف الكلّي والتّرادف الجزئيّ .ويقتضي فهم المعنى المستعمل استحضار المقام الّذي استعملت فيه، ووضعيّة المتكلّم والسّامع وأمورا

خطابيّة تسمّى مقتضيات الحال. وبقدر ما يصعب نول الدّلالة الحرفيّة، والمعنى المباشر للكلمات يصعب نول الدّلالة الضّمنيّة، والمعنى غير المباشر للكلمات باعتباره خاصيّة مميّزة من خاصيّات الألسن الطّبيعيّة. وإنّ ما يظهر بين المفردات من علاقات ذات خصائص معيّنة هي الّتي تتحكّم في تنظيم المفردات داخل المعجم حيث اشتهر في البحث الدّلاليّ الحديث منه تحليل المعنى بالسّمات **analyse sémique** وهو تحليل المعنى المعجميّ للكلمة إلى عناصر أوليّة أو سمات دلاليّة **traits sémantiques** وفسّر هذا المنهج ظواهر التّرادف والاشتراك والمجاز عموما. وهو ما يؤكّد أنّه ليس للألفاظ معاني ثابتة لا تتغيّر بل المعنى / المعاني من عمل الذّهن بالاستعانة بظروف الخطاب فالألفاظ منتهية والتّجارب والإبداعات الإنسانيّة غير منتهية بمعنى أسماء المعاني، مهما اتّسعت مقصورة وغير محدودة، والمعاني غير محدودة لا تدرك إلاّ بالفكر[19].

وأمّا الاشتراك اللّفظي، علامة حيويّة اللّغة وتجدّدها، موصول بالتّطوّر الصّوتي الّذي يتضمّن خواصّ عدّة منها أنّه يتمّ عن طريق القلب أو الإبدال. ومن وظائفه البارزة معالجة دلالات اللّفظ المستغلق على الأفهام لأنّ الاشتراك الدّلاليّ مثلا مظهر للالتباس. ومشكلة الاشتراك الدّلاليّ تُعدّ أحد مظاهر الالتباس**ambiguïté** الثّلاثة: فالالتباس المعجميّ يكون اشتراكا دلاليّا**polysémie** أو اشتراكا لفظيّا**homonymie**أو التباسا بنيويّا غير معجميّ. حسب أمّهات كتب النّحو والمعجم. إذ هناك حديث عن الوجوه والنّظائر أي الألفاظ الّتي تتفّق لفظا وتختلف معنى عبر السّياق. فاللّفظة حينما يستعملها المتكلّم يقترن بها معنى، ولا تستوعب إلاّ معاني بعينها تتولّد مقاميّا بخلاف القاموسيّ الّذي يورد كلّ الدّلالات حسب وظيفة القاموس لأنّ الدّلالة المعجميّة دلالة أصليّة وضعيّة تاريخيّة. من ذلك، مثل، أنّ سجّل الطّبيعة ومفرداته لا تُفهم أحيانا معانيها لأنّها دلالة تقريبيّة تستمدّ معناها ممّا يحوم حول المعنى المعجميّ الوضعيّ من إيحاءات. أي أنّ منشىء الخطاب أضاف معنى زائدا استغلق فهمه على القارئ.

إنّ ظاهرة الاشتراك الدّلاليّ المعجميّ عند الحبيب النّصراوي هي العدد الكبير من الدّلالات الّتي ترتبط بمدخل مّا، وغالبا ما ينتفي بمجرّد دخوله في الاستعمال، حيث لا تعرّف دلالة المفردة تعريفا مطلقا، بل من خلال تواردها في الخطاب، ففي داخل الجملة متمّمات وتواردات مقاطع اسميّة وفعليّة كافية لإزالة التّردّد المحتمل في الدّلالة. فإنّه ممّا لا ينبغي تجاهله أيضا ظروف التّلفّظ ووظيفتها الأساسيّة في الدّلالة، وهو ما يساعد على التّمييز بين الحقيقة والمجاز مثلا، كقولنا (نجم) للكوكب أو للفنّان أو لرياضيّ وتتطلّب

دراسة العلاقات بين مختلف دلالات المفردة تنميط المعاني الحقيقيّة والمجازيّة الّتي تبرز مع مختلف مراجع المفردة (التّطريرزيّة / prototypicité)[20].

3- المعجم والحقل الدّلاليّ

ثابت عند دارسيّ الأدب أنّ الحقول الدّلاليّة أداة من أدوات تجديد مضامين النّصوص ولقد حظي أيضا في مباحث الحقل الدّلاليّ باهتمام لافت وعدّ حلقة رئيسيّة من حلقات علم الدّلالة وكلّ حقل دلاليّ يتألّف من باقة مفردات أو كلمات ذات سمات مشتركة يمكن تجميعا في تيمة أو عنوان إطاريّ جامع وتبنى العلاقات بين تلك الكلمات على علائق لسانيّة متشابهة ونذكر مثالا على ذلك حقل الألوان ويبدو أنّ دلالات الكلمات المتقاربة تكتسب من تجاور بعضها بعضا في إطار دلاليّ عامّ ولذلك فمن وظائف هذا الحقل الدّلاليّ أن يكشف عن بنية النّصوص المعجميّة. وأهمّ العلاقات الّتي تربط بن هذه المكوّنات تكون ترادفيّة أو ضديّة أو جزئيّة[21]. وفي تراثنا اللّغويّ عامّة تصانيف عدّة من الحقول حسب مقاييس معيّنة مثل أسماء الطّعام وعدّد الجاحظ في كتاب البخلاء (مأدبة، وليمة، خُرس، إعذار، وكيرة، عقيقة، فثّ، دعاع، قرامة...) وأسماء العنز (سليل، مليط، جفر، جدي، تيس، تلو، ثنيّ، سديس...)[22].

يمكن القول إنّ التّرادف والاشتراك والطّراز تسهم جميعها في تحقّق انسجام النّصوص وتماسكها حيث العلاقات الدّلاليّة في التّصوّر المسمّياتي تستند إلى نظريّة الطّراز وفيها ينطلق المعجميّ من مفهوم مشترك ويبحث عن تحقّقاته في مختلف الأدلّة ونلاحظ أنّ العلاقات الدّلاليّة هنا تكون تارة علاقات تراتب تحتوي التّضمّن وعلاقة الجزء بالكلّ وعلاقات توافق أو تقابل تحتوي التّرادف والتّضادّ علما وأنّ المفردات في التّرادف عموما تتمايز بمكوّناتها المعجميّة أو بدلالاتها الإيحائيّة والمتكلّمون يختارون بين عدّة تنويعات معجميّة وهذا هامّ في تفسير النّصوص وتعليل اختيارات أصحابها المعجميّة أضف إلى ذلك أنّ العلاقات الدّلاليّة في المنحى الدّالي هي علاقات اشتراك حينما توظّف اللّغة طاقات الوحدة المعجميّة لتوليد معان جديدة من قبيل اشتمال مادّة (غرَبٌ) على ستّ دلالات وهي: الذّهب والفضّة والقدح والخمر، والماء يقطر من الدّلو، وضرب من الشّجر، وداء يصيب الشّاة يتساقط منه شعر خطمها وعينها.

إنّ هذه المفاهيم الدّلاليّة للمعجم تُفسّر من ناحية مسائل التّعدّد الدّلاليّ في تعريف الكلمات وتصل ذلك بضروب من تطوّر الدّلالة مقرونة بالمجاز والكناية والاشتقاق ويفهم

من ذلك أنّ التّعامل مع موادّ النّصوص اللّغويّة لا سيّما مفردات الكلام يكون بتعرّف آليّات الذّهن والذّاكرة في تنظيم الكون وبنينته.

III. اتّساع المعجم قوّة التّخييل وفرادة النّصوص

1- المعجم والخطاب

الكلمة وحدة معجميّة ومدخل للقاموس، ويشكّل الجذر البنية الأساسيّة لها، و انطلاقا منه يقع الاشتقاق. ولأيّ مفردة مدخل في القاموس معنى رئيسيّا أو أوليّا هو المدلول المركزيّ الموسوم بـ"le signifié de puissance " واستعمالات أخرى، وهذا دليل على أنّ الوحدة المعجميّة متعدّدة الدّلالات، وكلّ دلالة تحيل على مرجع[23] référent. وتنطلق المقاربات اللّسانيّة الدّلاليّة من هذا الإرث البنيويّ وتتجاوزه بإقحام دراسة المعنى في علاقته بما هو متصوّرواستعاريّ، و انشغلت بالبحث في أصل المعنى وطبيعته وكيفيّة إدراكه و أبعاده المفهوميّة والتّأويليّة باعتبار المعنى لا سيّما في النّظريّة اللّسانيّة العرفانيّة في جميع تيّاراتها ظاهرة عرفانيّة ناجمة عن تصوّر الأشياء، وعن كيفيّة إدراكنا للأشياء في الكون ومعالجتها ذهنيّا قبل وسمها، فالتّصوّرليس كامنا في الشّيء الموصوف و إنّما في المسار العرفانيّ. فدلالات العلامات اللّسانيّة تنقسم إلى ضربين من الإخبار: إخبار اسميّ تسيّره مقولة الأسماء ويقتضي سيرورة عرفانيّة قوامها علاقات تقاطع بين مجموع الوحدات المعجميّة إذ يبدأ المسار بتقديم الوحدة الّتي نخبر عنها وإخبار فعليّ تسيّره مقولة الأفعال بسيرورة العلاقات الزّمانيّة[24].

الكلمات ترد وحدة في خطاب يتحدّد معناها من خلال السّياق الّذي تكون فيه. ويمكن تناول النّصّ باعتباره خطابا لأنّ كلّ نصّ موضوع يعدّ نتاج عمل تلفّظ شفويّ ينشىء آليّا مسار تقبّل متعلّق به والحاصل أنّه يصعب فصل التّلفّظ عن الملفوظ صعوبة فصل فهم النّص في ضوء صيغ البثّ والتّقبّل ومن موادّ التّلفّظ المعاجم وفي القاموس تُعامل على أنّها وحدات في اللّغة وتقدّم لها مدلولات من مراحل مختلفة من تاريخ استعمالها (ردّ اللّفظة إلى محيطها المعجميّ وعائلتها الاشتقاقيّة وحقلها الدّلاليّ و انتمائها التّاريخيّ)، ولا يغمطها ذلك حقّها من المشترك الدّلاليّ فمفردة "أبر" مثلا تتصّل في الخطاب بمفردات ومعاني مغايرة من قبيل: أبر النّخل=لقّحه/ أبر الزّرع=أصلحه/أبر الحيوان= أطعمه/ أبر العقربُ= ضربت بإبرتها/ أبر فلانا= أذاه/ أبر بين القوم= سعى بينهم بالنّميمة/ أبرّ الأثر= عفى عليه من التّراب/ المبئرة= النّميمة "قاموس المزهر الرّقميّ

للغنيّ،). فاللّفظة وحدة لسانيّة (unité de langue) تنجرّ عن إنجازاتها في الخطاب تنوّعات في المعنى حسب السّياقات الّتي ترد فيها. وهذا التّصوّر للمفردات يعتبر أنّ اللّفظة ذات مدلول مركزيّ لا يتبدّل في الزّمان ولها قيم استعماليّة ففي المزهر لابن عرس- (ب ن و) "حو". حيوان ثديّ، من فصيلة الزّباديّات، من رتبة الضّوراي، يشبه الفأرة، مستطيل الجسم، متعدّد الأصابع، يفتك بالدّواجن، ويسمّى أيضا سُنْعُبَة. "... ابن عرس يحتال للطّير بحيلة الذّئب للغنم، فإنّه يذبحها كما يفعل الذّئب بالشّاة" (الجاحظ). هكذا فهم المفردات يساعد على تمثّل أفانين الخطاب وقوانين اللّسان والثّقافة.

يصعب في دائرة الخطاب فصل أسلوبيّة الإنتاج عن أسلوبيّة التّقبّل فهما متنافذتان وهكذا فالإفادة من المعجم مطلوبة في الأدب برؤية مغايرة تتجاوز تصنيف المعجم ووصف موادّ الكلام إلى ربط المعجم بالذّاكرة وما يحتفظ فيها من وحدات معجميّة دالّة هي ينبوع الكتابة والقراءة ويساعد مفهوم الحقل المعجميّ، ههنا، على تعليل عنوان النّصّ، وعلى تعيين فكرة النّصّ الأساسيّة والحالة النّفسيّة لصاحب النّصّ، وعلى تنظيم مفردات بحسب جداول شكليّة و/ أو دلاليّة[25].

2- المعجم والتّأويل

التّأويل من المفاهيم الشّائعة في مجال نقد الأدب والّتي استعصت على الحدّ والضّبط وشهدت استعمالاته اتّساعا كثيرا ومن المسائل الّتي انشغل بها نقّد الأدب في هذا السّياق إسهام الذّات المتلقيّة في بناء المعنى. هذه الذّات عنصر فاعل في فعل القراءة باعتباره فعل إنتاج المعنى معنى يحصل بتبادل بين كاتب نصّ وقارئه وآليّات القراءة ومفاتيحها متنوّعة لعلّ من بينها آليّة المعجم الذّهنيّ إذ لا وجود لنصّ في غياب قارئه ولا وجود لمعنى خارج فكر إذ القارىء ذات متكلّمة تتسلّح بأفق انتظار تلج به عوالم التّخييل كما تستدعي ثقافتها اللّغويّة لذلك وفي هذا السّياق فإنّ مواجهة معاني الكلمات والمفردات الّتي أدخلت في علاقات بفضل قوانين التّركيب وضوابط كما عمليّات التّركيب هذه ذات ظوابط دلاليّة تداوليّة باعتبار الدّلالة امتداد للتّركيب والاستعمال.

ويقتضي تأويل النّصوص استثمارما في المعجم الذّهنيّ من دلالات للكلمات وأنّ هذه الدّلالات لا يمكن فهمها وتحديدها إلاّ من خلال وضع الكلمات في تراكيب نحويّة وفي أساليب بلاغيّة وهذا يساعد على استخراج الضّمنيّ والمسكوت عنه من الصّريح لأنّ التّأويل محاصرة للمعاني المحذوفة والمقدّرة والمستترة وبعبارة أخرى الدّلالات الضّمنيّة

ومن مسالك الوقوع عليها محاصرة "المعنى المركزيّ وهذا المعنى هو الأساس في عمليّة الاتّصال اللّغويّ وإظهار الوظيفة الحقيقيّ للّغة وهي التّواصل ونقل الأفكار وهو يرتبط بالوحدة المعجميّة حين ترد في أقلّ سياق أي مفردة كما يقول Nida"[26].

3- المعجم والانفتاح

لا انفتاح دون معجم لأنّ التّغيّر أو التّطوّر الدّلاليّ خاصيّة المعجم ولقد نسفت المَعجمة ما شاع عن المعجم من قبل عدد من اللّسانيّين من صفات سالبة فعدّوه ممثّلا للشّذوذ غير خاضع للقواعد وذيلا للنّحو لا بنية له ولا استقلاليّة وقائمة من المداخل المعجميّة ذات دلالات فحسب. وبفضل توسّع البحث في المَعجمة عموما لمع بريق المعجم واعترف بقيمته في تشكيل اللّغة ووسم بخصلتين بارزتين هما الذّهنيّة والانتظام بل إنّ المعجم هو أسّ التّجديد والتّوليد والاقتراض والاشتراك إنّه المواكب للمولّدات والمصطلحات في العلوم والفنون والأفكار والمعاني الجديدة وكم من اسم قديم أطلق على مسمّيات جديدة على سبيل التّجوّز وقد عنت المعالجة الدّلاليّة بالبحث في ظهور دلالات جديدة في اللّغة تحملها دوالّ باعتماد المجازات أساسا أضحى استدعاء المعجم في تلقّي النّصوص حاصلا ومهمّا بل مسهما في إبراز انفتاح النّصوص وتعدّد القراءات.

إنّ رصيد المتكلّم اللّغويّ مرآة يرى فيها ذاته ونفسه بصفته متكلّما شاهدا ومنتسبا إلى ثقافة معجمها ممتدّ ضارب في التّاريخ مركوز في الأذهان وعليه يتطلّب فهم الخطابات تحرّي الكلام ومقاصد المتكلّمين لأنّه لأغلب مفردات اللّغة أكثر من معنى وفي هذا السّياق بحث مبروك المنّاعي في أطلال الكلمات وهي المعاني الأول والمحسوسة والأصليّة الّتي كانت لها قبل أن يأتي عليها التّجريد وهذه الدّلالات النّواتات طمست معالمها وغارت أصولها في ذاكرة اللّغة وطرأت عليها تغييرات محكومة بآليّة ذهنيّة هي الإفراغ والملء وتظلّ بصماتها حاضرة تشكّل تمثّلات النّاطقين باللّغة للوجود وهذا هامّ في معالجة النّصوص وتأويل الخطابات[27].

في قصيدة لمن تشتكي لإيليا أبو ماضي"1890- 1957) ومطلعها:

كَم تَشتَكي وَتَقولُ إِنَّكَ مُعدِمُ --- وَالأَرضُ مِلكُكَ وَالسَما وَالأَنجُم

تكشف قراءة الأبيات من 1 إلى 6 عن دعوة إلى التّفاؤل؛ لأنّ الشّاعر يرفض أن يرى إنساناً كئيباً بائساً مع أنّ الحياة حوله جميلة؛ فالنّجوم لامعة في السّماء، والأزهار متفتّحة في الحدائق، والطّيور مغرّدة فوق الأشجار،كلّها تدعو إلى الإقبال على الحياة

والتّفاؤل. وقد جيء بالمعاجم لتساعد على تبيّن آليّات الشّاعر في تشخيص الطّبيعة ومزجها بالنّفس الإنسانيّة. وحضر حقل الطّبيعة المعجميّ من قبيل: أرض/ سماء/أنجم/ حقول/زهر/ أريج/ نسيم/ بلبل مترنّم/ ماء/ شمس/ نور/ سفوح/ ذرى/ طيور حوّم... /(أريج)اسم/ جمعها أرائجُ/ رائحة طيّبة، عبير، عَبَق فاح أريجُ الأزهار في الحديقة/ الأريج= صوت الضجيج بالبكاء/أنشد ابن الأَعرابيّ: كأَنَّ رِيحاً من خُزَامَى عالِجٍ، أَو رِيحَ مِسْكٍ طَيِّبِ. وشرحت كلمة سفوح (موضع، وعُرْضُ الجَبَلِ المُضْطَجِعِ، أو أصْلُه، أو أسْفَلُه، أو الحَضيضُ)، في صلتها بذرى(جمع ذُروة= اِسْمٌ لِما ذَرَتْهُ الرِّيحُ/ ذروة من الشّيء المكان المرتفع أعلاه، ذروة الجبل/ ذروة : علوّ/ ذروة المجد/ مؤتمر الذّروة : مؤتمر عالميّ يضمّ رؤساء الدّول العظمى... واستتباعا لمسارات القراءة الصّغرى للمعجم واللّعب بسجّلات حقل دلاليّ طبيعيّ تخلّت فيه الكلمات بفضل التّشخيص والمجاز والاستعارات عن معانيها الوضعيّة انتمى النّصّ إلى تيّار أدبيّ رومنطيقيّ منحت فلسفته الأدبيّة دلالات جديدة لمعاني لها في القاموس مرادفات ومشتركات واصطلاحات وفي شروح الأدب تأويلات.

شروح المفردات على أنّها منتظمة ذهنيّة يساعد على تأويل النّصّ بفضل تقنيات إعادة الصّوغ والاستبدال والإضافة والتّوسّع. والمثل في ذلك نصّ "الغاب" لأبي القاسم الشّابي(1909-1934)/ ، من ديوان أغاني الحياة ص ص 239- 141 منذ العنوان يعترضنا ويدهشنا ويغرينا "المعجم الطّبيعي" انطلاقا من كلمة الغاب جمعه الغابات: الأَجَمَةُ ذاتُ الشّجر الكثير المتكاثف، وهي عند الجغرافيّين مِسَاحَةٌ شَاسِعَةٌ تَكْتَنِفُهَا الأَشْجَارُ الكَثِيفَةُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَتَكُونُ مَرْتَعاً لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ. ونجد معاني أخرى من قبيل غابة من الرّماح/ غابة البحر/ غابة ممطرة/ غابة غارقة/ غابة محظورة... الغابة بمعنى الأجمة الّتي طالت، ولها أطراف مرتفعة باسقة. يقال ليث غابة. والغاب الآجام. وهو من الياء. الغابة غيضة ذات شجر كثير، متكاتف، لأنّها تغيّب ما فيها. ومكوّناته الغاب في النّصّ كثيرة: عناصر طبيعيّة ماديّة مثل ظلال/ أضواء/ أنغام/ جداول أوراق/ أكمام/ أغصان/ أنسام/ أدواح. وطلب من المتعلّمين أن يبنوا أوّلا من هذه الكلمات فرضيّات قراءة النّصّ (وصف مظاهر جمال الطّبيعة/ الهروب إلى الغاب/ الغاب والشّاعر/ سعادة الشّاعر في الغاب/ احتفاء بنقاوة الغاب و إفلات من سجن الواقع ودنسه/ الشّفاء بالغاب/ طهارة الغاب ونضارة الحياة...). هكذا شرح المعجم يوفّر تخمينات تقرّب من موضوع النّصّ فكأنّ الشّاعر يئس من حياة النّاس فعزم على الغياب في الغاب. هو تغيّب واع. غياب تحرّر و إفلات من سجن النّاس. عناصر الطّبيعة تدعو

الشّاعر إلى أحضانها وسلامها وأمنها. لكأنّ الطّبيعة روح الشّاعر ولكأنّ الغاب في اتّصاله بالنّغم وهو التّكلّم بكلام خفيّ والطّرب والتّطريب هو الغناء رديف النّموّ والبقاء الحيويّة والنّشاط والإنعاش والتّجدّد وضدّها الموت نقاومه بالخيال وهو ما يتشبّه لنا في اليقظة والعلم من صور نراها وفي ذلك نزوع نحو الجديد والكون والوجود والمطلق والعامّ.

ولقد أمّنت الشّروح الّتي مورس عليها فعل إعادة الصّوغ والتّوسّع والإضافة وتبسيط القول قوّة المجاز في نصّ رومنطيقيّ وجوديّ يتناول مأساة الشّاعر الفنّان وغربته وطلبه الانعتاق والحريّة. و إنّها لأجواء انفتاح بالإيحاء والاستعارة . لتقديس حرم الطّبيعة(لا يحلّ انتهاكها لشرفها ورفعتها، مكان مقدّس، مكان عبادة وتقوى وصلاة..)، ونار الجمال (استمرار نور الجمال وديمومته/ الإشراق والحسن والضّياء/ الوعي الحقيقيّ..)، ودنيا الخيال (عالم الطّبيعة السّحريّ الفاتن..)، وعطف الوجود (رحمة الوجود وإشفاقة وكرمه ورقّته وحنوّه...). ارتحل الشّابي في أحضان الطّبيعة يلامس حقيقة الوجود ومعنى الحياة بملامسة دلالات الكلمات وهي تتأرجح بين خطاب قديم وخطاب جديد.

لاشكّ، إذن، في أنّ فهم النّصّ يمرّ عبر إحلال المكوّن المعجميّ محلّه من نظام اللّغة والخطاب[28]. والخطاب يفترض أن يكون بواسطة اللّفظة الخطاب وأن يكون عمليّة مستمرّة من خلال تعايشه مع الزّمن وأن يتّصف بالتّتابع التّصاعديّ باتّجاه هدف مّا هو البنى الدّلاليّة. وإنّ لكثافة دلالات الألفاظ قدرة على حماية النّصوص من الجمود والتّحنيط القرائيّ وعلى منحها حريّة و انطلاقا وتجدّدا نطلق عليه عبارة انفتاح التّأويل انفتاح القراءة. كذا يسهم المعجم في تجدّد الإجابات عن أسئلة مستهلكة: ما هو النّصّ؟ كيف يدلّ؟ كيف نتلقّى نصّا أدبيّا أنتج في غير السّياق الّذي نتلقّاه كقرّاء؟

خاتمة

إذن يعالج المشتغلون بالدّلالة الوحدة المعجميّة مستندين، غالبا، إلى مقاربتين أولاهما هي المعالجة بالأحاديّة الدّلاليّة (**traitement polysémique (unitaire** وثانيتهما هي المعالجة بالأحاديّة اللّفظيّة**traitement homoymique**. وفي هاتين المقاربتين المعجم هو مستوى أساسيّ في الظّاهرة اللّغويّة ينشأ عبر مراحل تؤكّد من جهة، سمة النّظاميّة فيه أي أنّ هذا النّظام تسيّره نوايا المكتلّم المخزّنة في الذّهن عند إنتاج

التّلفّظ، ومن جهة أخرى سمة الذّهنيّة وهاتان السّمتان توفّران للنّسق اللّغويّ إمكانات العدول والتّصرّف والاتّساع والتّفرّد في النّظم وهي إمكانات قد تفضي إلى إنشائيّة النّصّ إنشائيّة يسهم فيها الكاتب والقارىء معا.

ولا يمكن بحال إنكار أنّ لغتي هي مسكني وهي موطني وهي مستقرّي وهي حدود عالمي الحميم بمعالمه وتضاريسه ودلالاته، ومن نو افذ كلماتها ومن خلال وزن صيغ وحداتها المعجميّة أنظر إلى بقيّة أرجاء الكون الواسع، فاللّغة هي الّتي تدلّ على هويّة الفرد وتكشف عن ذاته ومن هو[29]، على معنى أنّ اللّغة هي الوطن الأوّل لكلّ إنسان، ومنها يتعلّم أولى كلماته المعبّرة عن هوّيّته ويظلّ المعجم هو نواة هذا التّصوّر وهو الّذي أي المعجم خوّل خوّل للكلمة وهي تجسيد له أن تكون وحدة لسانيّة دالّة صالحة للتّحليل اللّسانيّ عامّة والمعجميّ خاصّة إذ تتمتّع بمكانة مستقلّة في القاموس باعتبارها من أصغر الوحدات اللّسانيّة النّاقلة للمعنى، فالكلمة لا بدّ أن توحي بدلالتها بغضّ النّظر عن طبيعة هذه الدّلالة هكذا تكلّم الكلمة أولمان قائلا: الكلمة من مهامّ المعجميّة باعتبارها علما يهتمّ بالشّكل (الشّكل من مجال الصّرف) وبالمعنى (المعنى مجاله علم الدّلالة) الّذي هو مظهرها الحيويّ[30]:

و أثبتنا، أيضا، وجاهة ما فطنت إليه البحوث المعجميّة العرفانيّة عن دور حجم المفردات المخزّنة في الذّاكرة طويلة المدى في نموّ درجة التّحكّم في المكوّن المعجميّ في نظام اللّغة والتّعبير عن الأغراض والتّواصل بين المتكلّمين تواصلا يقتضي أساسا المعرفة المعجميّة وتلك تقتضي القاموس وهو ملجأ لفهم الوحدات المعجميّة الصّعبة أو القديمة باعتبار أنّ وظيفته هي تسهيل التّواصل الثّقافيّ والإعلاميّ والفكريّ بين مستعمليّ لغة مّا[31].

ولقد تحقّقنا من جدوى ربط الأدب بالمعجم وقدرة الخطاب المعجميّ الذّهنيّ على إغناء القراءة الأدبيّة وهذا ما ذهب إليه توفيق العلويّ حينما اعتبر الدّلالات المعجميّة دلالات كونيّة تمثّل الأغلبيّة دائما وهي مجموعة مفتوحة ومبنيّة بناء جيّدا وبقد ما تتوسّع اللّغات تتوسّع مسالك الشّبكة الدّلاليّة[32] وفي اعتقادنا أنّ توظيف هذه المسالك في الأدب نشاط قرائيّ هامّ.

ولقد توصّلنا في هذا المقال إلى أنّ قراءة النّصوص بواسطة الجدل بين المعجم الذّهنيّ والمعجم المجسّد في النّصوص آليّة تمكّن من اقتفاء ما استعصى وتحجّب وتمنّع من المعاني. المعاجم تغوي بالقراءة وتفتح مسارات لمعاني محتملة متجدّدة أبدا.

المراجع العربية:

1. إبراهيم، ابن مراد، (1997)، مقدّمة لنظريّة المعجم، دار الغرب الإسلاميّ، ط 1.
2. أبو القاسم ، الزّمخشري المفصّل في علوم اللغة، دار الجيل بيروت، د، ت،.
3. أحمد، درويش، (2006)، إنقاذ اللّغة إنقاذ الهويّة، تطوير اللّغة العربيّة، القاهرة، نهضة مصر للطّباعة.
4. البدراوي، زهران(2009). المعجم العربيّ، تطوّر وتاريخ، مصر: الآفاق العربيّة، القاهرة، ط1.
5. توفيق، العلوي، (2015)، المسالك الدّلاليّة عند "ملشوك"،ضمن كتاب الدّلالة النّظريّات والتّطبيقات، منشورات كليّة الفنون والإنسانيّات منّوبة.
6. توفيق، قريرة، (2016)، اللّسانيّات في دوحة العربيّة، ط1، ص 358.
7. الحبيب النّصراوي، (2009)، التّعريف القاموسيّ، بنيته الشّكليّة وعلاقته الدّلاليّة، مركز النّشر الجامعي، ط1.
8. الحبيب النّصراوي، ، (2008)، الجاحظ معجميّا، مركز النّشر الجامعي، ط 1.
9. الحبيب، النّصراوي، (2008)، الجاحظ معجميّا، مركز النّشر الجامعي، ط 1.
10. السهول، محمّد،(2015)، المعنى والقصد بين الإظهار والإضمار في التّراث اللّغوي العربيّ القديم ولسانيّات التّخاطب، ضمن كتاب جماعيّ، منشورات كلّية الآداب منّوبة. 369.
11. سوسير، فردينان، القرمادي، دروس في الألسنيّة العامّة، تعريب القرمادي،صالح وآخرون (1985)، الدّار العربيّة للكتاب.
12. الشّرقاوي، إقبال أحمد (1993). معجم المعاجم، تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربيّة التّراثيّة، لبنان: دار الغرب الإسلاميّ، ط2.
13. صابر، الحباشة، (2007)، تلوين الخطاب، جمع وتعريب، فصول مختارة من اللّسانيّات والعلوم الدّلاليّة والمعرفيّة والتّداوليّة والحجاج، الدّار المتوسطيّة للنّشر، تونس، ط1.
14. عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، من منشورات اتّحادّ الكتّاب العرب، دمشق،2001.

15. عبد الغنيّ، أبوالعزم (1997)المعجم المدرسيّ أسسه وتوجّهاته،الرّباط ، مؤسّسة الغنيّ للنّشر.
16. عبد القادر المهيري، (2011).عودة إلى مفهوم الكلمة، آفاق اللّسانيات، مركز دراسات الوحدة العربيّة, ط1، مارس.
17. عبد الواحد، عبد الحميد الكلمة في اللّسانيّات الحديثة، صفاقس، تونس ،2007،جانفي، ط 1، مطبعة التسفير الفنيّ صفاقس.
18. عبدالقاهر، الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر.
19. عقلي، مصطفى (2018). القدرة المعجميّة و آفاقها التّعليميّة، مقاربة لسانيّة وظيفيّة، صفاقس: دار كنوز المعرفة.
20. مبروك، المنّاعي، (2015)، أطلال الكلمات، بحث في التّأصيل الدّلاليّ من خلال الشّعر، ضمن مؤلّف جماعيّ، الدّلالة، النّظريّات والتّطبيقات، كليّة الآذاب والفنون والإنسانيّات، منّوبة.
21. محمّد الصّالح، بوعمراني، (2009)، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في علم الدّلالة العرفانيّ، كلّية الآداب بصفاقس، درس مطبوع.
22. محمّد علي الخولي، ، (2001)، علم الدّلالة علم المعن، دار الفلاح للنّشر والتّوزيع، الأردن.
23. موفّق الدين، ابن يعيش شرح المفصّل، دار الطباعة المنيريّة مصر د، ت، ج 1 .

المراجع الأجنبية :

1. Kleiber. Georges : La sémantique du prototype. Catégories et sens lexical ; Paris, Puf, 1990..
2. Delbecque, Nicole : Linguistique cognitive, De Boeck etLarcier ; s. a, 2002.
3. –Fuchs, Catherine (1983). La paraphrase linguistique: équivalence, synonymie ou reformulation? Paris:Presses universitaires de France, Le Français dans le Monde, numéro 178.

4. Patrick Charaudeau, Dominique Maingueneau, (2002). Dictionnaire d'analyse du discours, Paris: Seuil.
5. –Ullman(S). Précis de sémantique française, 2e éd [compte–rendu]Cahiers de Civilisation Médiévale Année 1962 5–17 .

الهوامش:

[1]- سوسير، فردينان، القرمادي، دروس في الألسنيّة العامّة، تعريبالقرمادي،صالحوآخرون (1985)، الدّار العربيّة للكتاب، ، ص110.

2- الكلمة من الكلام –وهوملفوظاتحاملة لدلالة، تحقّق تواصلا بين متخاطبين والفرق بين اللّفظ والكلام أنّ الكلام مفيد- وحدة معجميّة: le mot unité lexicale ou lexie وهي كلّ كيان لسانيّ يتصرّف تصرّف عجمم بسيط ينتمي إلى واحد من الأصناف التّاية: اسم، صفة، أو حال، وتكون الوحدة المعجميّة بسيطة إذا تكوّنت من صيغم واحد (un seul morphéme) وفي الحالات الأخرى هي تعبير معجميّ (expression lexicalisée). ويأتي عبارة ووحدة مركّبة ووحدة مشتقّة. هذه الوحدات المعجميّة هي مادّة القاموس وعلى أساس جذورها يقع ترتيب وحداته المداخل، ويشكّل الجذر البنية الأساسيّة للكلمة، انطلاقا يقع منه الاشتقاق. وتتكوّن دلالة الوحدة المعجميّة من الجذر والصّيغة، وهي القالب الّذي تتشكّل فيه الكلمة ويعطيها الدّلالة الوظيفيّة الخاصّة بها، ومن حاصل هذين العنصرين نتحصّل على الكلمة ومعناها اللّغويّ.

[3]- الشّرقاوي، إقبال أحمد (1993). معجم المعاجم، تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربيّة التّراثيّة، لبنان: دار الغرب الإسلاميّ، ط2.

[4]- البدراوي، زهران(2009). المعجم العربيّ، تطوّروتاريخ، مصر: الآفاق العربيّة، القاهرة، ط1، ص 20.

[5]- ينظر،

Fuchs, Catherine (1983). La paraphrase linguistique: équivalence, synonymie ou - Presses universitaires de France, Le Français dans le Monde, :reformulation? Paris numéro 178, pp 128 – 133.

Patrick Charaudeau, Dominique Maingueneau, (2002). Dictionnaire d'analyse du discours, Paris: Seuil, p 50.

[6]- توفيق قريرة ،اللّسانيّات في دوحة العربيّة، تونس: الدّار التّونسيّة للكتاب، ط1(2016).. واعتبر قريرة أنّ "علم النّفس العرفانيّ أبرز العلوم العرفانيّة الّتي أطّرت المنوال التّعليميّ العرفانيّ. فقد ركّز هذا

العلم على ما يسمّى الأبنية غير المرئيّة وفيه أنّ اللّغة ليست بعيدة عن مظاهر العرفان الأخرى... وحسب نظريّة التّعلّم العرفانيّة فإنّ الطّريقة المثلى لفهم لغة 1 ولغة 2 يكون عبر فهم العمليّات الّتي يستخدمها المتعلّم لتعلّم المعلومة والمهارات... وبعض من المهارات هي قواعد النّحو التّطبيقيّ واختيار الرّصيد المعجميّ المناسب... وتكون الذّاكرة الدّلاليّة مسؤولة عن إنتاج اللّغة من خلال تخزين الوحدات المعجميّة والبنى التّركيبيّة". ص 424.

[7]- ينظر،

-Delbecque, Nicole : Linguistique cognitive, De Boeck etLarcier ; s. a, 2002. P. 45.

[8]- ينظر،

- Kleiber. Georges : La sémantique du prototype. Catégories et sens lexical ; Paris, Puf, 1990. P.31.

[9]- إبراهيم بن مراد، مقدّمة لنظريّة المعجم، دار الغرب الإسلاميّ، ط1 (1997)، ص 57.

[10]- عبد الحميد عبد الواحد الكلمة في اللّسانيّات الحديثة، صفاقس، تونس ، مطبعة التّسفير الفنّي صفاقس، جانفي، ط 1، 2007. ص 172.

[11]- أبو القاسم الزّمخشري، المفصّل في علوم اللغة، دار الجيل بيروت، د، ت، فصل في معنى الكلمة والكلام ص3.

[12]- ابن يعيش موفّق الدين، شرح المفصّل، دار الطباعة المنيريّة مصر د، ت، ج 1 ص 19/18

[13]- الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر.

5- منقور، عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، من منشورات اتّحادّ الكتّاب العرب، دمشق،2001، ص 18.

[15]- النّصراوي، الحبيب، (2008)، الجاحظ معجميّا، مركز النّشر الجامعي، ط 1، ص 22.

[16]- ينظر في، المهيري، عبد القادر ،عودة إلى مفهوم الكلمة، آفاق اللّسانيات، مركز دراسات الوحدة العربيّة, ط1، مارس 2011،ص 27."ويبدو من خلال الدراسات المختصّة بالمعجميّة أنّه يعسر الاستغناء عن الكلمة، فهي واردة في رصيد ما يستعملونه من المفردات، بل إنّها موضوع تحليل صرفيّ ومعنويّ يفضى إلى تصنيفها حسب خصائص معيّنة، هكذا يتمّ، مثلا، التّمييز بين الكلمة والمفردة، باعتبار أنّ المفردات (vocabulaire) هي ما يستعمله المتكلّم أو الكاتب، أو ما يستعمل في مجال معيّن... وقد تصنّف الكلمات، من وجهة نظر صرفيّة، إلى كلمات بسيطة، وكلمات معقّدة... وتصنّف الكلمات على المستوى الدّلاليّ إلى ثلاثة أصناف كبرى: الكلمات التّعيينيّة(dénominatif)، الّتي تسمّي وتكوّن منظومة من العلاقات المعجميّة والصّرفيّة النّحويّة, الكلمات التّأشيريّة(indexicaux)، الّتي ليست مؤهّلة للتّسمية، وتستعمل لتعيين المقام (مثل أنا، هنا، هذا)، الكلمات النّحويّة الّتي تعبّر، خلافا للصّنفين السّابقين، عن قيم داخل لغويّة" عبد القادر المهيري،عودة إلى مفهوم الكلمة، آفاق اللّسانيات، مركز دراسات الوحدة العربيّة, ط1، مارس 2011،ص 27.

[17] - عقلي، مصطفى (2018). القدرة المعجميّة و آفاقها التّعليميّة، مقاربة لسانيّة وظيفيّة، صفاقس:

داركنوز المعرفة، ص 61.

[18]- توفيق قريرة، اللّسانيّات في دوحة العربيّة، ط1، (2016)، ص 358.

[19]- الحبيب نصراوي ، الجاحظ معجميّا، مركز النّشر الجامعي، ط 1،(2008)، ص 30.

[20]- الحبيب النّصرواي، التّعريف القاموسيّ، بنيته الشّكليّة وعلاقته الدّلاليّة، تونس، مركز النّشر الجامعي، ط1، (2009)، ص53.

[21]- محمّد علي الخولي، ، علم الدّلالة علم المعن، الأردن، دار الفلاح للنّشر والتّوزيع، 2001.

[22]- مجموعة الكلمات والعبارات التي تربط بينهما، في نصٍّ معيّن، علاقةٌ معنويّة تشابه ترادفيّ كأمّ ووالدة/ أو تضادّ كنصر وهزيمة/ أو جزئيّة كيد وعين و أنف/ أو كليّة مثل جسم الإنسان فهو حقل معجمي كبير تندرج تحته الرّأس واليدان والرّجلان والبطن ويمكن أن نجعل من الرّأس حقلا معجميّا تندرج تحته الفم والعين والأذن الدّماغ/ أو تلازم لفظيّ كالمنعوت والنّعت مثل أصفر فاقع/ أو المضاف والمضاف إليه مثل حادث مرور / أو الفعل والجار والمجرور مثل أومأ بيده/ أو التّضمّن والاشتمال كأسد وحيوان/ أو اشتقاق -تدرّج مثل وسن ونعاس ونوم وسبات. ويتألّف الحقل الدّلاليّ من مجموعة المعاني أو الكلمات المتقاربة الّتي تدور في مجال معيّن وهي تشترك فيما بينها في خصائص دلاليّة مشتركة وبذلك تكتسب الكلمة معناها من علاقتها بالكلمات التي تشترك معها في نفس الحقل الدّلاليّ. فالكلمات في الحقل الدّلالي تدور حول موضوع واحد، أو مجال فكريّ واحد. فالعائلة حقل دلالي مفرداته الأب والأم والأبناء والأعمام والأخوال وغير ذلك، (يجب أن تتجاوز عناصر الحقل المعجميّ خمسة عناصر).

[23]- ينظر في قاموس الوسيط،مثلا، مادّتي رقد ونام: - رقد= نام/ رقد عن = قعد، لم يتعهّد/ رقد الحرّ: ونحوه= سكن // نام= اضطجع أو نعس/ نام الشّيء= سكت وهدأ / نامت النّار= همدت / نامت السّوق= كسدت/ نام عن حاجته= غفل عنها / ما نامت السّماء مطرا= لم يزل مطرها هاميا.

[24]- محمّد الصّالح بوعمراني، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في علم الدّلالة العرفانيّ، كلّية الآداب بصفاقس، درس مطبوع. 2009.

[25]- صابر الحباشة، تلوين الخطاب، جمع وتعريب، فصول مختارة من اللّسانيّات والعلوم الدّلاليّة والمعرفيّة والتّداوليّة والحجاج، الدّار المتوسطيّة للنّشر، ط1، 2007، ص 97.

[26]- محمّد السّهول، المعنى والقصد بين الإظهار والإضمار في التّراث اللّغوي العربيّ القديم ولسانيّات التّخاطب، ضمن كتاب جماعيّ، منشورات كلّية الآداب منّوبة، 2015، ص 369.

[27]- مبروك المناعي، أطلال الكلمات، بحث في التّأصيل الدّلاليّ من خلال الشّعر، ضمن مؤلّف جماعيّ، الدّلالة، النّظريّات والتّطبيقات، تونس، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات، منّوبة، 2015،ص 147.

[28]) أبوالعزم عبد الغنيّ، المعجم المدرسيّ أسسه وتوجّهاته،الرّباط ، مؤسّسة الغنيّ للنّشر. 1997.

[29]- درويش، أحمد (2006)، إنقاذ اللّغة إنقاذ الهويّة، تطوير اللّغة العربيّة، القاهرة، نهضة مصر للطّباعة، ص18.

[30]- ينظر،

Ullman(S). Précis de sémantique française, 2e éd [compte-rendu]Cahiers de Civilisation Médiévale Année 1962 5-17 pp. 93-94

[31]- النّصراوي، الحبيب (2009)، التّعريف القاموسيّ، بنيته الشّكليّة وعلاقته الدّلاليّة، مركز النّشر الجامعي، ط1، ص275.

[32]- العلوي، توفيق، (2015)، المسالك الدّلاليّة عند "ملشوك"،ضمن كتاب الدّلالة النّظريّات والتّطبيقات، منشورات كليّة الفنون والإنسانيّات منّوبة، ص 267.